مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 85 - 99

رت م د: 2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

المحددات الكمية والنوعية في السياسة الأمنية الرومانية ـ مقاربة في حالة بلاد المغرب القديم

Quantitative and qualitative determinants in the security policy of the Romans - an approach to the case of the ancient Maghreb

العمري عبد النور

جامعة المدية (الجزائر)، proflamri213@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 05-01-2022 تاريخ القبول: 28-04-2023 تاريخ النشر: 05-05-2023

ملخص:

طبق الجيش الروماني سياسات متنوعة ومختلفة زمانيا ومكانيا اختلفت باختلاف الجهات العسكرية ودرجات خطر التمرد والثورات.. ففي بلاد المغرب القديم طبقت سياسة نوعية طويلة المدى اعتمدت على تقليص عدد الجنود والوحدات النظامية والمساعدة، فكانت هدفا لإستراتيجية أمنية وإحدى وسائل الدعاية الهادفة لإقناع مواطني روما أن بلاد المغرب القديم والغرب الروماني عموما (غالة وأيبيريا وبريطانيا) أصبحت خالية من أعمال معادية بسبب تقبل السكان المحليين للثقافة والتمدن الروماني ونفوذ سلطته بشكل واسع، عكس مناطق اعتبرت خطرة وهمجية مثل الدانوب والراين وبلاد الرافدين، ومهما كانت التبريرات، فان الواقع الذي كان ببلاد المغرب القديم خلق الاستثناء من الناحية الأمنية والردود الثقافية عن باقي المقاطعات الرومانية. فهل حقا نجح الرومان في دمج المجتمع المغاربي بحجة تطبيقه سياسة نوعية قليلة الكم في عدد الجند الحامي ببلاد المغرب.

كلمات مفتاحية: الإستراتيجية، سياسة الكم والنوع، التجنيد الروماني، بلاد المغرب القديم.

Abstract:

The Roman army implemented different security policies in time and place. It differed according to the diversity of the military fronts and the degrees of risks of rebellion and revolutions. In the ancient Maghreb, a qualitative, long-term policy was implemented that relied on reducing the number of soldiers, regular units, and axillaries, It was the target of a security strategy and one of the means of propaganda aimed at convincing the inhabitants of Rome that the ancient Maghreb and the Roman West in general (Gaul, Iberia and Britain).. These became free of hostile actions due to the widespread acceptance of the Roman culture and urbanization by the local population and the influence of its power. In contrast to regions considered dangerous and barbaric such as the Danube, the Rhine and Mesopotamia, whatever the justifications, the reality that was in the ancient Maghreb created an exception in terms of security and cultural responses from the rest of the Roman provinces. Did the Romans really succeed in integrating Maghreb society under the pretext of implementing a qualitative, low-quantity policy in the number of protective soldiers in the Maghreb?.

Keywords: Strategy, Quantitative and Qualitative Politics, Roman Recruitment, Ancient Maghreb.

مقدمة:

يعتبر البحث في دراسة إستراتيجية وسياسة الجيش الروماني المطبقة في المقاطعات الرومانية واحدا من المواضيع الهامة والحافلة بالتناقضات، فالتباينات الرقمية في أعداد المجندين المنتشرين عبر كل مقاطعة وإقليم للحماية والأمن يؤكد ذلك، فجبهة الشمال (الراين والدانوب) كانت تعج بالفيالق والوحدات المساعدة المرابطة على الحدود، وقارب العدد على جبهة الشرق، واقل ناحية الشمال الغربي ببريطانيا.

أما جبهة الجنوب المغاربية المترامية على امتداد 3000 كلم من الشرق للغرب، لم يزد عدد الجند الحامي لهذه الجبهة فيلقا نظاميا واحدا وهو الفيلق الاوغسطي الثالث Legio III Augusta (LeBohec Y, 1989, p.335)، وعددا من الوحدات المساعدة (Benseddik N, 1979, p.11) متنوعة الجنسيات كالمقدونيين واليونانيين، والجرمان والسوريين والاسبان والتراقيين....وهذه التباينات تطرح تساؤلات وملاحظات وتفسيرات، وأحيانا تأويلات مختلفة المصالح والتوجهات.

وتحليل تلك التباينات سيوضح لنا سياسة التجنيد الرومانية أكانت كمية أو نوعية في عدد الجنود المؤمنين لمساحة مغاربية تحت نفوذ روماني قاربت أو تجاوزت المليون كيلومتر مربع؟، وسيقودنا هذا السؤال إلى إيضاح مدى نجاح أو فشل سياسة الكم أو النوع في تأمين جغرافيا المقاطعات الرومانية - المغاربية لقرون من الزمن. كما سيبرز المنهجين التحليلي والمقارن بشكل واضح في تحليل معطيات الدراسة ومقارنة إحصاءات وبيانات للاستئثار باستنتاجات أكثر منطقية وعقلانية من الواقع المفروض آنذاك.

1. السياسة العسكرية الرومانية العامة ببلاد المغرب القديم:

انفرد الجيش الروماني بسياسة تجنيدية خاصة ببلاد المغرب القديم لا تشبه كثيرا أقاليم إمبراطورية أخرى، وعلى مدى قرون من الزمن فكانت إستراتيجية (Le Bohec y, 1985, p.p.377-390). عسكرية ونهج وخريطة عمل يتم تحديدها وفقا لمتطلبات الظروف السياسية والأمنية والاجتماعية المتغيرة في المنطقة. ونحن نبحث هنا عن ماهية تلك السياسة ببلاد المغرب القديم ودورها ونجاحها، فهل كانت سياسة كمية أم نوعية أم كلاهما معا؟.

1.1. التحليل العام للسياسة العسكرية الرومانية:

إن المعرفة العامة للتاريخ العسكري الروماني انه تطور وتدرج زمنيا من إستراتيجية وقائية هجومية بعد ضم شبه جزيرة ايطاليا وقرطاجة واليونان واسبانيا وغالة، ونوميديا .. إلى التحول لإستراتيجية امن دفاعي بعد ذلك.

جدول 1

الإستراتيجية العسكرية الرومانية ما بين القرنين 02 ق.م و05 ميلادي

المرحلة الأولى	إستراتيجية هجومية توسعية وقائية	المرحلة الثانية	إستراتيجية دفاعية تحصينية	المرحلة الثالثة	انفلات امني ونهاية محتومة
	عصر التوسعات خلال القرون الثلاث 02 و01 قبل الميلاد+ 01 بعد الميلاد		عصر التحصينات خلال القرون الثلاث: 02 و 03 و04 بعد الميلاد)		فترة العجز العسكري خلال القرن 05 بعد الميلاد

المصدر: من انجاز الباحث.

1.1.1. التدرج الزمني للتوسع:

إذا تتبع أي باحث الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم كرونولوجيا لاستنتج أن الجيش الروماني تدرج في ذلك زمانيا ومكانيا بداية بـ:

- معرفة جُغرافية المناطق الحدودية للمملكة النوميدية المُتاخمة لمقاطعة قرطاجة المحتلة عام 146ق.م، (خريطة 01) كأشكال التضاريس والمجاري المائية السطحية والغابات...الخ، فكانت تلك المعرفة للمناطق المراد احتلالها تتم بعناية وبالتالي كان التدرج الزمني طويلا في احتلال بلاد المغرب القديم منه التقدم التدريجي غربا مثل نوميديا عام 46ق.م، ثم الموريطانيتين عام 42/40م.).
- يضاف إليها الحروب الأهلية الرومانية المتتالية (91-88 ق.م) (49-44ق.م) (31 ق.م)، كانت عاملا إضافيا لتأخر تدرج احتلال بلاد المغرب القديم بسرعة.

خريطة 1

الخندق الروماني أو الفاصل الحدودي بين الإقليم القرطاجي المحتل (المقاطعة الرومانية الجديدة) عام 146 ق.م والمناطق الحدودية الغربية للمملكة النوميدية

المصدر: العمري. ع، 2015، ص.17.

2.1.1. ارتباط الانتشار العسكري بالتوازي مع الانتشار الاستيطاني للمستوطنات:

ارتبط انتشار وحدات الجيش الروماني توازيا مع حركة التوسع الاستيطاني بدءا من مقاطعة إفريقيا الرومانية باتجاه أقاليم شرقية (طرابلس) وغربية (نوميديا وموريطانيا)، بدأت ساحلية ثم داخلية (تلية) ثم سهبية بدرجة اقل، كما أن هذا الانتشار ساير الأوضاع السياسية والأمنية في بلاد المغرب، فكلما تخمد ثورة مناوئة للرومان تثبت وحدات عسكرية رومانية جديدة داخل محميات ومعسكرات ومستوطنات محصنة، ومستعمرات على سهول داخلية قريبة من السواحل للجنود المسرحين والقدامى وربطها على أهم المنافذ البحرية للموانئ مثل قابس وعنابة وصلداي وجيجل وشرشال وتنس وغيرها..، لضمان وصول الإمدادات العسكرية اللازمة عند الضرورة، وقطع الطريق أمام أي مقاومة بإنشاء قواعد خلفية لها داخل أو قرب المستوطنات الداخلية كمليانة وحمام ريغة.. لتأمين حياة وأنشطة المستوطنين الرومان في المناطق الساحلية.

3.1.1. توجيه سياسة عدائية للقبائل المتمردة:

وجهت سياسة عدائية رومانية ضد القبائل المغاربية المعادية كالنوميدية منها الجيتولية، الموزولامية، أو المورية منها البقواط والبافار، والتي شكلت جبهة رافضة للتوسع الاستيطاني، وتلك السياسة العدائية تمت بأشكال متنوعة منها أنها مورست واتضحت منذ عهد الإمبراطور اوكتافيوس (27 ق.م-14م) عندما حرك الجيش الروماني وقام بحملات عسكرية. (انديشة.ا، 1993، ص 191) فما بين 33ق.م و19ق.م احتفلت روما بما لا يقل عن ستة انتصارات.

- بعد تلك الحملات ومع بداية القرن الأول ميلادي اقتضت الضرورة الأمنية انجاز طرقات (Salama P., 1951, p.22) متشعبة, لتكون لها دورا أساسيا في تسهيل حركية الجيش وتسهيل عملية تموينه من خارج مقاطعات بلاد المغرب عبر الموانئ والسيطرة السريعة على أي تمرد قبلي موزولامي أو جيتولي دون الاضطرار إلى زيادة وحدات عسكرية كبيرة ثابتة ودائمة. فكثير من الدراسات التاريخية تطرقت إلى سيطرة الجيش الروماني زمن الأسرة الأنطونية (96م-192م) على أقاصي حدود البروقنصلية ونوميديا جنوبا، مقابل تأخر التقدم نحو الحدود الجنوبية لمقاطعة موريطانيا القيصرية لعهد حكم الأسرة السيفرية (193م-235م). (Hugoniot C., 2000, p.68)

- القيام بأنشطة دفاعية على التوالي في فترات أباطرة الأسر الحاكمة (الكلاودية والفلافية والانطونية والسيفرية) تحصينات على طول المناطق الخاضعة لسلطتهم، ليمس (خط حدودي) أول دفاعي خلال القرنين الأول قبل الميلاد والأول ميلادي، ثم ليمس ثاني بمناطق الداخل خلال القرن الثاني، ثم ليمس ثالث بمناطق السهوب وتخوم الصحراء خلال النصف الأول من القرن الثالث ميلادي.

2.1. السياسة التجنيدية الرومانية ببلاد المغرب القديم الاهتمام بالنوع على الكم:

كل تلك الانجازات الأمنية التي شرحناها سابقا كانت تتماشى مع سياسة تجنيدية تعتمد على النوع لا الكم، وعلى نوعية الوحدات وتقليل أعدادها وفق ما تقتضيه الأحوال الأمنية لكل جبهة عسكرية أو مقاطعة أو ما تسمي بالخصوصية الأمنية للجبهة العسكرية (انظر جدول 02).

جدول 2

الخصوصية الأمنية للجبهات العسكرية

الجبهة الجنوبية والغربية	الجبهة الشمالية والشرقية
- التجنيد النوعي على الكمي. - تقليل المجندين النظاميين. - تعزيز نقص العدد بالتعويض: تعزيز التحصينات (الليمس) وتجنيد وحدات مساعدة محلية وإنشاء جنود الحدود المحليين أو الليميتاني	- التجييش العددي الضخم. - التعزيزات العسكرية المتوالية. ودفاعات كثيفة ومتنوعة. - لها أولوية الإنفاق العسكري من ميزانية الإمبراطورية. - تكثيف الوحدات النظامية وأولوية إشراف الإمبراطور الشخصي على جبهات القتال وأمهات المعارك.

المصدر: انجاز الباحث.

من خلال ملاحظتنا لمعطيات الجدول سنستنتج أن الجبهة الجنوبية (بلاد المغرب القديم) تعتمد تقليل عدد المجندين والاكتفاء بنوعية الوحدات، والتحصينات والأوضاع الأمنية داخل كل مقاطعة. ولتعزيز الطرح العام لسياسة النوع على الكم إذا قارنا الجبهات العسكرية المختلفة الأربع سنلاحظ بمساعدة الخريطة أدناه وضوح الفرق الشاسع في توزيع الفيالق النظامية المحترفة (حوالي 6000 مجند لكل فيلق) أن بلاد المغرب القديم صنعت الاستثناء في وجود فيلق واحد بها وعلى امتداد جبهة واسعة من الشرق للغرب جاوزت 3000 كلم وعلى مساحة قاربت المليون كلم مربع.

خريطة 2

توزيع الفيالق النظامية الرومانية على الجبهات العسكرية الامبراطورية القرن 1-3م

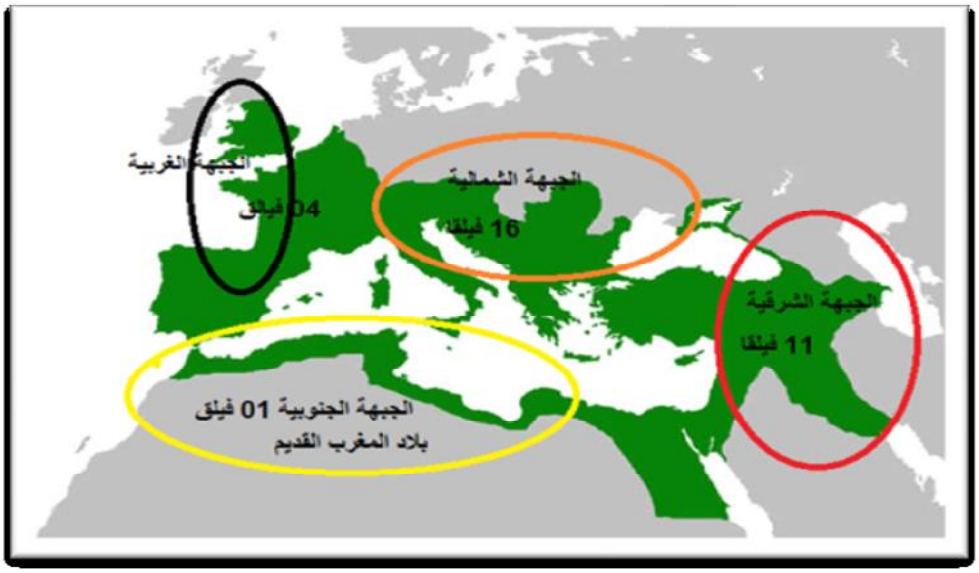

المصدر: انجاز الباحث.

من الخريطة 02 أيضا نلاحظ أن السياسة الأمنية العامة للإمبراطورية اختزلها الرومان في المعرفة الفنية للدفاع والأمن فقط. وتغييب أبعاد أمن أخرى اجتماعية وثقافية، وإدارية وسياسية، (Desanges J, 1980, p.p.77-80) وربطها فقط بإيديولوجيا القوة وفرض النظام. لكن مع مرور الوقت خلال النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي انشغلت الدولة الرومانية بمواجهة مصادر تهديد داخلية خاصة بوراثة العرش. أدت إلى عجز القيادات السياسية والعسكرية في رسم سياسة أمنية واحدة، لمجابهة الأحداث الداخلية المتسارعة، وتركيز المواجهة الخارجية (انظر جدول03 وخريطة 03) على الجبهات الشمالية والشرقية، وبشكل اقل الجبهة الجنوبية والغربية.

وهكذا أصبح مصدر التهديد خارجي وداخلي خاص بوراثة العرش والموالاة والتخاذل في مواجهته بحزم أدى لحالة تفكك اجتماعي للدولة ومقاطعاتها، (Leveau Ph., 1986, p.p.1345-1348) وهو ما كان أشد خطراً من مصادر تهديد الجبهات العسكرية المبينة أدناه في الجدول.

جدول 3

توزيع الأقاليم الإمبراطورية حسب درجة الخطر

رقم	نوع الخطر	الجبهة العسكرية	المناطق المحددة	بعض محددات الخطر
01	أقاليم خطرة للغاية	الشمالية	أقاليم الراين والدانوب	قريبتين من شبه الجزيرة الايطالية عبر البر
02	أقاليم خطرة ومهددة	الشرقية	الحدود مع الفرس وأقاليم الشام	القريبتين من مصدر الثروة بمصر وكبدوكيا (تركيا)
03	أقاليم قليلة الخطر	الجنوبية	بلاد المغرب القديم +مصر	بعيدتين عن ايطاليا برا وبحرا
		الغربية	أيبيريا وبريطانيا	

المصدر: من انجاز الباحث

خريطة 3

توزيع الأقاليم الإمبراطورية على حسب درجة الخطر القرنين 2-4م

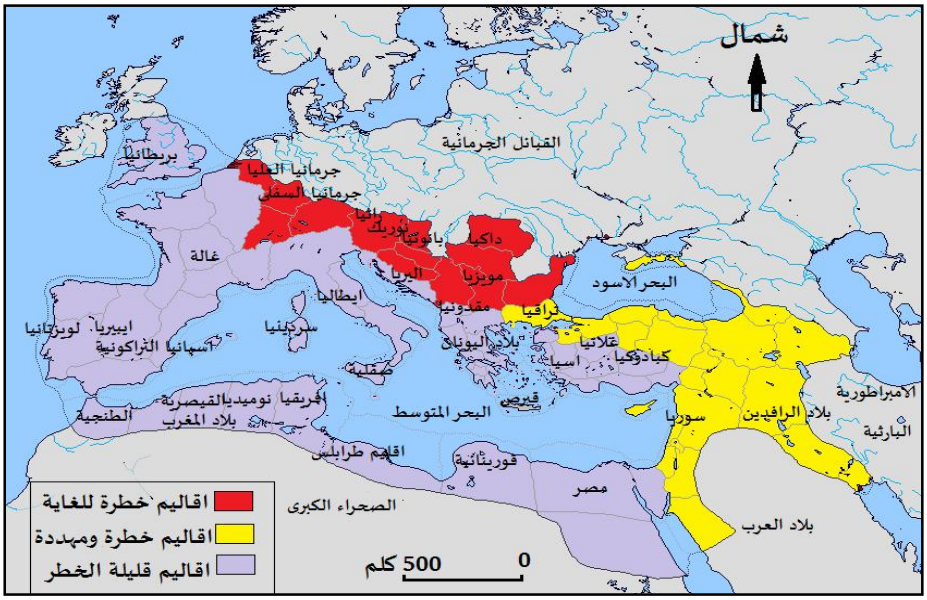

المصدر: انجاز الباحث.

قبل هذا التفكك الاجتماعي للدولة داخليا كانت السلطة المركزية بروما خلال العهد الإمبراطوري الأول (27ق.م-284م) ذات دور رئيسي، فكانت تحدد سياسة الدولة ومسارها، وتفاعلاتها داخل الأقاليم، وتجذب القوى المتنافرة وتوحدها، وتوظفها لمصلحة أمن الأقاليم وهو ما حدث عندما كان مصدر التهديد يتزايد محليا في المقاطعات. فغلب على تعبئة قدرات الجيش الروماني صورة التعاون (Pflaum H. G., 1973, p.p.55-72). بين الدولة وبعض القبائل بأشكال متنوعة، مثل إقامة حلف مع قبائل متحالفة، أو عقد معاهدة سلام (ثنائية أو متعددة الأطراف)، أو التعبئة التي تناسب قوة التهديد في شكل وحدات مساعدة أو جنود الحدود... هذا كله في إطار "السياسة الدفاعية للمقاطعات".

2. السياسة الدفاعية للمقاطعات المغاربية من خلال تجنيد النوع على الكم:

تغيير مفاهيم الحروب وإستراتيجيتها مع نهاية القرن الأول ميلادي ونهاية أيضا عصر التوسعات في مناطق واسعة من الإمبراطورية فشغل ذلك التغيير تفكير قادة الرومان في المقاطعات الأقل عدائية مثل بلاد غالة وأيبيريا وبلاد المغرب القديم اعتمادا على خليط التقنية المتقدمة

والتفوق العسكري الغير مسبوق تاريخيا وهو أن يكون الجيش اصغر وأذكى تقليص الأعداد وإعادة نشر القوات بحيث يكون أسهل في التنقل عبر الممرات الرئيسية والاعتماد بدرجة اكبر على استقدام التعزيزات الخارجية في حال الخطر.

1.2. مميزات السياسة الدفاعية الخاصة بتجنيد النوع على حسب الكم:

فسياسة الاهتمام بتقليل الكم في عدد المجندين ببلاد المغرب نلاحظ انها أفضت لرؤية أمنية طويلة الأمد وقعت في ظل تغيرات مستمرة وغير متوقعة، وقراراتها أخذت في أجواء من الضغط المستمر من جهات أخرى وبدرجات مختلفة.. وتحت هيمنة الأحداث والتحولات الأمنية المتسارعة والمتواصلة خارج بلاد المغرب القديم، والجدول التالي (جدول 04) يوضح وقع تلك الأحداث على السياسة الأمنية الرومانية اتجاه كل جبهة عسكرية وكل إقليم ومقاطعة.

إذ أننا لا نلاحظ قيام ثورات نظامية كبيرة متجددة ببلاد المغرب لمدة ثلاث قرون بعد نهاية الثورة الموريطانية التي اندلعت سنوات (41 -42م) ومنذ سنة 42م لم نرى أي ثورة كبيرة تجبر الرومان على التجييش وزيادة التجنيد الدائم في بلاد المغرب حتى سنة 313م مع اندلاع الثورة الدينية والاجتماعية. (Martroye F., 1904, p.p.353-416). ثم بعد نصف قرن تظهر أحداث عسكرية كبرى ببلاد المغرب متمثلة في انشقاق فيرموس عن السلطة المركزية بروما وساعده في ذلك بعض القبائل النوميدية والموريطانية سنة 370م سرعان ما أخمدت بوصول تعزيزات عسكرية سريعة من خارج مقاطعات بلاد المغرب.

جدول 4

الأحداث العسكرية الكبرى في العالم الروماني من 146 ق.م إلى 382م

السنة	الحدث العسكري	السنة	الحدث العسكري
149- 146 ق.م	الحرب البونيقية الثالثة وسقوط قرطاجة	256م	القوط يهاجمون اسيا الصغرى والفرانك جرمانيا السفلى.
143-133 ق.م	الحرب الثالثة ضد قبائل الكلت	258م	الإمبراطور غاليان يقود حملة ناجحة ضد القوط.
113-101 ق.م	الحرب ضد التنتون والكمبريين	259-260م	سقوط معسكر نيدربيبر الروماني بجرمانيا.
112-105 ق.م	الحرب النوميدية الرومانية (ثورة يوغرطة)	260م	الفرس يهزم فالريان ويؤسر ثم ماكريانوس يضرب فيالقهم بقوة.
91-88 ق.م	الحرب الاجتماعية الرومانية	260م/262	إعلان بوستيموس انفصال الغاليين عن الإمبراطورية واخفاق الحملة عليه
59-51 ق.م	غزو يوليوس قيصر لبلاد غالة	260م	اندلاع الثورة بمقاطعة بانونيا.
49-46 ق.م	الحرب المدنية الرومانية	267م/268م	غزو القوط لليونان وتراقيا. والهيرول اسيا الصغرى والالان ايطاليا وراثيا
31 ق.م	المعركة البحرية الكبرى باكتيوم	269م	تصدي كلوديوس الثاني للالان ثم يهزم القوطيين.
08-06 م	حملة الإمبراطور تبريوس على اليريا.	270م	التخلي عن مقاطعة داكيا و التدمرين يغزون مقاطعة مصر

17-24م	الثورة النوميدية بقيادة تاكفاريناس ضد الرومان	270م	اوريليان يهزم الجرمان بايطاليا والوندال ببانونيا. وقبائل الالان وماركوماني تغزو ايطاليا
34-36م	الحرب ضد البارثيين.	271-273م	ضد زنوبيا بتدمر. اوريليان يهزم انفصالي الغال. ويقوم بحملة
41-42م	الثورة الموريطانية ضد الرومان (ايدمون وسلابوس)	274م	تمرد تريكوس في غالة وانتصار اوريليان عليه.
43م	غزو الرومان لبريطانيا.	276م	انتصار الجيش الروماني على قبائل الالان.
66-70م	الحرب الرومانية ضد اليهود بفلسطين.	282م	اغتيال بروبوس خلال حملته الناجحة على الراين والدانوب.
73-74م	الحملة العسكرية الرومانية ضد جرمانيا.	283م	انتصار الجيش الروماني على قبائل السرماتيين بمقاطعة اليريا.
86-89م	الحرب الرومانية ضد الداكيين.	284-285م	حملة عسكرية ضد الفرس.
97-98م	الحرب في جرمانيا ضد قبائل السويف Suéves.	286م	ثورة البغواد بغالة وانتصار مكسيميان عليهم.
101-102م/105-106م	الحرب الداكية الأولى ثم الثانية زمن تراجان.	286-293م	انتصار الرومان على الالان واندلاع ثورة كارسيوس ببريطانيا
114-117م	الحرب ضد البارثيين.	296-297م	اغتصاب العرش بمقاطعة مصر وقسطانس يستعيد بريطانيا
132-135م	الحرب ضد اليهود بعد ثورة بركوشبا.	297م	قاليريان يتغلب على الفرس.
166-175م	الحرب ضد الماركوماني والكوادي والسرمانتيين.	305م	تنازل دقلديانس ومكسيميان عن الحكم. واندلاع حرب أهلية.
178-180م	الحرب الثانية ضد الجرمان ونهايتها بموت اوريليوس.	312م	انتصار قسطنطين على مكسنس بروما.
197-199م	الحملة العسكرية ضد البارثيين الفرس.	313م	ثورة الدوناتيين والدوارين بالمغرب القديم
208-211م	الحملة العسكرية في بريطانيا.	315م	انتصار قسطنطين على لسينيوس.
213م	الحرب ضد الالان (جرمانيا).	322-323م	الحملة العسكرية ضد السرماتيين والقوط على الدانوب.
217م	هزيمة الرومان امام الفرس بنيسبور.	223-224م	انتصار ثاني لقسطنطين على لسينيوس باندرنوبول وكريسوبولس
218م	الحرب الأهلية الرومانية وانتصار اغابال بانطاكية.	331-334م	حملة عسكرية ناجحة ضد السرماتيين والقوط.
230م	الحملة العسكرية ضد الفرس في العراق.	337-360م	الحملة العسكرية طويلة المدة على الفرس.
232م	خسارة الحملة العسكرية ضد الفرس.	348م	الهزيمة على أيدي الفرس.
234-235م	حملة ضد الالان وتمرد جيش مقاطعة بانونيا	350-353م	الحرب الأهلية بين قسطنط ومانينس.
236م	الحملة العسكرية ضد الداكيين والسرماتيين.	340-369م	الثورة ببريطانيا.
240م	الغوثيون والكربيون يغزون مقاطعة موبزيا.	356-357م	حملة يوليانوس على الالان وانتصاره في ستراسبورغ.
242م	حملة ضد الفرس الذين طردوا من العراق.	357-359م	هجوم الكوادي والسرماتيين وهزيمتهم على الدانوب.
245-247م	حملة ضد الكوادي والكارب. وغزو القوطيين لمقاطعة موبزيا.	358م/359م	الحملة العسكرية ضد الفرانك. وغزو الفرس للعراق
248م	حملة عسكرية على مقاطعة موبزيا.	360م	غزو غالة من طرف الجرمان.
249م	جيش الدانوب يعلن قائدهم إمبراطور وقيام الحرب قرب فيرونا.	360-361م	الهجوم المضاد ليوليانوس على المغيرين بالراين.
249م-251	القوط تغزو داكيا. وتهزم الرومان وتقتل الإمبراطور.	363م	الفرس يهزمون ويقتلون يليانوس وجوفيان يوقع معهم سلام مهين.
252م	القوط يجتازون خطوط الدفاع الشمالية.	366-369م	حملة فلنتنيان على الالان والانتصار على القوطيين.
251-253م	الفرس يغزون العراق.	370م	(تمرد) فيرموس ضد السلطة المركزية بروما (370م)
253م	حملة عسكرية ضد القوط بمقاطعة ميزيا.	376-377م	الرومان يهزمون قرب صاليس أمام القوط بمساعدة قبائل الهون.
254م	ماركوماني يغزون بانونيا والفرس العراق، والقوط تراقيا	378م	الالان يغزون ة راثيا. وهزيمة جيش فالان بالكامل باندرينوبل.

المصدر: من انجاز الباحث.

ملحوظة: الخانات الرمادية بالجدول تمثل أهم الأحداث العسكرية والثورات المغاربية الكبرى ضد الرومان.

كل هذا يعزز طرحنا ومن خلال (جدول 04) أن سياسة الرومان الأمنية ببلاد المغرب اعتمدت على نوعية الوحدات وبالأخص التي تتأقلم مع البيئة المحلية المغاربية السهبية كالوحدات التدمرية والحمصية (Carcopino J., 1925. p.p. 118-149) بالبادية السورية والتي تنسب إلى أقاليم تدمر وحماة وحمص (palmyrenorum, Hemesenorum, Hammiorum). في العهد الروماني وتقليل العدد، مع نشر العيون الراصدة والمخبرين لأي تحرك ثوري مناوئ للسلطة الرومانية عبر جلب تعزيزات عسكرية كبيرة للمنطقة. هذه التعزيزات نراها في الأحداث الكبرى

لبعض الثورات منها مثلا الإمدادات السريعة بوصول فرق عسكرية من جيوش مقاطعات رومانية أخرى قريبة من بلاد المغرب كالجيش المرابط باسبانيا أو بلاد غالة أو سوريا أو برقة، وهذا تعزيزا للفيلق الروماني المرابط بالمنطقة. فبعد ثورة موريطانيا سنة 41م وصلت تعزيزات كبيرة منها الفيلق المقدوني الرابع (Legio IV Macedonica) وفيلق النصر السادس (Legion VI Victorix) والفيلق الجرماني العاشر (Legio X Germanicu) إلى بلاد المغرب.

فذلك التعزيز العسكري كان احد أهم السياسات الداعمة إلى التقليل من عدد الجنود الرومانية ببلاد المغرب القديم إلا في حالة الخطر الكبير (الثورات المحلية المنظمة وتمرد القبائل بشكل واسع) فتعمل قيادة الجيش الروماني بأسلوب التعزيزات العسكرية السريعة عبر البحر خاصة وان بلاد المغرب القديم اقرب إلى أوربا عبر مضيق جبل طارق بحوالي 13كلم وهو اقرب للتعزيزات العسكرية في المقاطعة الطنجية والقيصرية، وعن البروقنصلية ونوميديا عبر مضيق صقلية على مسافة 140 كلم، وفي حالة الطرابلسية فلا تفصل سواحل برقة الليبية، سوى 300كلم عن جزيرة كريت اليونانية. إلا أن هذه التعزيزات كان يجابهها مخاطر البحر وأيضا الإنهاك الجسدي في حال وصولها وعدم تأقلمها مع التضاريس والمناخ بشكل سريع.

2.2. مدى نجاح تطبيق سياسة التجنيد النوعي أو فشلها في تحقيق أهدافها:

سياسة تجنيد النوع على الكم في بلاد المغرب القديم رغم محدودية الأعمال العدائية الكبرى ضد الوجود الروماني (راجع جدول 04) بسبب الطبيعة القبلية المحلية وعدم وجود تنسيق مركزي موحد للثورات لغياب مفهوم كيان الدولة في الذهنية القبلية وتشتت الكثير منها في الفيافي والبوادي والصحراء مع قساوة الطبيعة والمجاعات والأوبئة، استطاعت أن تجد مقاومة سلمية -اجتماعيا وثقافيا- اتخذتها كثير من القبائل المغاربية ضد الاندماج في مظاهر الحضارة الرومانية وهذا حفاظا على كيانها القبلي الضعيف الموارد وبالأخص عدم حصولها أو امتلاكها على صناعة تعدينية للأسلحة والخوذ والدروع وهروبا من بطش الرومان المتعطش للقتل حال وجود فرصة الانتقام بسبب تمرد أو ثورة، على عكس الغرب الأوربي الذي ترومن (فرنسا، اسبانيا، البرتغال).

إذن فالمقاومة السلمية الاجتماعية والثقافية التي اتخذتها القبائل المغاربية درءا لفنائها وأيضا لانعدام الأسلحة ومصانع صنعها يفسر لنا بعض أسباب اعتماد الرومان على سياسة النوع

وتقليل جنودها في بلاد المغرب القديم، فرغم تمكنهم من الحفاظ على قرون من السلام مع القبائل المغاربية والتفرغ إلى بناء المدن وتشييدها وزراعة الأرض وتوسيعها إلا أن فشلها في الحفاظ على رومنة (Thébert Y., 1973, p.p.64-82). المنطقة حال دون ذلك بسبب:

إن مفهوم السياسة الأمنية للرومان اختزلت في المعرفة الفنية للدفاع والأمن فقط. وإغفال أبعاد الأمن الأخرى اجتماعيا وثقافيا وسياسيا والقيم الإنسانية والمبادئ والحقوق الدستورية واستمرار تهميش سكان المقاطعات في مؤسسات الإمبراطورية -رغم إصدار قانون كراكلا حول إعطاء حق المواطنة لجميع رعايا الإمبراطورية الذي كان هدفه مزيدا من التجنيد داخل الجيش الروماني. فكل إمبراطور أو أسرة حاكمة تصرفت بمنطق المنفعة الذاتية دون وضع أي اعتبار لآليات تطوير الأمن الجماعي، باعتباره نظاما يهدف إلى توحيد الجهود من أجل أمن جميع المقاطعات الرومانية.

بداية من النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي انشغلت الدولة الرومانية بمواجهة مصادر تهديد داخلية خاصة بوراثة العرش، وبحلول عصر الإمبراطورية السفلى (285-439م)، أصبح عجز القيادات السياسية والعسكرية في رسم سياسة أمنية واحدة تعبأ قدراتها ومواردها لمجابهة المصادر الرئيسية المتمثلة في جبهات القتال الشمالية (الراين والدانوب) والشرقية (الساسانيون) والجنوبية الدوناتيون، فيرموس...).

يضاف إلى ذلك إهمال وتخاذل الإدارة عن التصدي لمصادر التهديد أي كانت (رئيسية أو ثانوية)، وذلك التخاذل في عدم مواجهة مصدر التهديد الرئيسي بحزم. أدى إلى حالة من التفكك الاجتماعي داخل الدولة الرومانية ومقاطعاتها الشاسعة، أدى إلى احتمالات بروز نشوء كيانات صغيرة مستقلة نتيجة تحول بعض المقاطعات الرومانية إلى مقاطعات فاشلة، وأقصد تحديدا، موريطانيا الطنجية (Carcopino J., 1943)، موريطانيا القيصرية (Ferzouls E, 1981, p.p.41-42.)، وأجزاء واسعة من نوميديا، إذ أصبحت القوات الرومانية وتناقصها في هذه المقاطعات في ضل غياب الأمن غير قادرة على تأمين حدودها وحماية مؤسساتها، بل أضحت تشكل أهدافا ومواقع خصبة للحركات المسلحة، واستفحال الفوضى داخل هذه المقاطعات وعدم استقرارها.

خلقت المفاهيم الجديدة في السياسة الدفاعية للمقاطعات المغاربية مثلا تفسر لنا سبب امتداد خطوط الليمس نحو الجنوب في بعض الفترات التي ارتبطت غالبا بشعور الدولة الرومانية بنوع من التهديد وعدم الأمن في مستوطناتها المركزية بالمقاطعات (Euzennat M., 1990, p.p.565-580). ثم مع الوقت أصبحت تقوم بتجديد مواقع الدفاع التي طالها الكبر، أو تقوية التي كانت تبدو ضعيفة. وهكذا بالرغم من هدوء الأحوال الأمنية ببلاد المغرب القديم وخلوها من ثورات كبرى لعقود طويلة من الزمن لم تثني السلطة الرومانية من إتباع "ممارسات أمنية" لتنفيذ سياساتها ببلاد المغرب القديم، لكنها خلقت نوعا من الفشل الاجتماعي (Lassère J. M., 1979, p.p.68-104) فهي لم تهدف إلى تقوية الجبهة الداخلية للمجتمع المغاربي. وزيادة الترابط معه، أو إزالة التوترات معه.

هذه التوترات كانت في مجملها مطالب لإقامة عدالة اجتماعية، والاشتراك في الحكم، تقليديا عبر أنظمة قبلية أو دستورية وفقا لكونهم رعايا إمبراطورية، أو على الأقل إشراك القبائل المختلفة في تسيير السياسة الداخلية للمقاطعات. كما لم تعمل في إطار اندماج أو وحدة أو اتحاد أو تكامل بين جهات ومقاطعات بلاد المغرب القديم.

إن التفوق العسكري الروماني في شقه النوعي لم يحقق التوازن أو الأمن فيما تعلق بالحروب غير النظامية، حيث لم يشكل التجنيد المحدود انتصارا قويا على الأرض، فالمنتصر الحقيقي من امتلك السيطرة من ناحية الثقل الجغرافي والسكاني.

كما أن وحدات الجيش الروماني رغم تأهبها الدائم غير أنها لم تكن تستطيع أن تدير حربا برية واسعة وبأعداد الجيش بحجمه الجديد (التقليص في الكم العددي) فلن يكن قادرا على إلحاق الهزيمة بأي خصم، كما انه أصبح اصغر من أن يجتاح مناطق أخرى لفترات طويلة وهنا تحديدا تكمن الدلالات والأبعاد المرتبطة بحدوث تحولات جوهرية في الفكر الاستراتيجي الروماني من خلال هذا التقليص ما يطرح تساؤلات حول مغزى هذه التحولات وأهدافها وآليات تطبيقها على أرض الواقع وحدود تأثر مناطق بلاد المغرب بها.

خاتمة:

نستخلص أن سياسة النوع في عدد القوات مورست في الغرب الروماني ومنها بلاد المغرب القديم إلى جانب شبه الجزيرة الأيبيرية وبلاد غالة.

إلا أن هاتين المنطقتين الأخيرتين أصبحتا رومانيتين على عكس بلاد المغرب التي بقيت حالة استثنائية في العالم الروماني نتيجة تمسك القبائل المغاربية بخصوصيتها الاجتماعية والثقافية.

ورغم النجاح الذي حققه الرومان ببلاد المغرب القديم في مباني التمدين وظرفية النجاح الملحوظ في الرومنة رغم محدودية اتساعها اجتماعيا، أجبرتهم من الناحية السياسية والعسكرية مواجهة صعوبات داخلية خطيرة وصارت مع الزمن عرضة للخطر في ظل نظامها الأمني المطلق وبيروقراطيتها العنصرية وأنانيتها الطبقية نتيجة سياسات عسكرية وبرامج أمنية فاشلة بسبب:

- سلبية التوسع الروماني بسلوكياته اذكي نار المقاومة المحلية غير النظامية بشكل متواصل.
- خلقت تلك السلوكيات فشلا داخليا قوض الجبهة الاجتماعية للمجتمع المغاربي. فزادت التوترات الداخلية المنادية لإقامة عدالة اجتماعية، فحتى الجزء المرومن من بين الساكنة المغاربية خيب أمله النظام السياسي الناشئ في المقاطعات الرومانية والذي لم يحم كيان المقاطعات ومصالحها الحيوية أو يعمل في إطار اندماج ووحدة وتكامل بين جهات ومقاطعات بلاد المغرب. فاستمر تهميش سكان المقاطعات من الأهالي في المؤسسات الرومانية - رغم إصدار قانون كراكلا بحق المواطنة لجميع رعايا الإمبراطورية.

وهكذا تحولت بعض المقاطعات إلى مقاطعات أمنية فاشلة، وأقصد تحديدا، موريطانيا الطنجية، موريطانيا القيصرية، ثم نوميديا، إذ أصبحت القوات الرومانية التي اعتمدت على النوع منه على الكم في تناقص بهذه المقاطعات مع غياب الأمن وعدم قدرتها على تأمين حدودها وحماية مؤسساتها، وأضحت أهدافا ومواقع خصبة للحركات المسلحة، مع استفحال الفوضى زاد من تعفن الأوضاع وعدم استقرارها. وبالأخص فترة الإمبراطورية السفلى (285م-439م). إلى نهاية النظام الروماني بالمنطقة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. احمد محمد انديشة، (1993). التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، (ط1)، الدار الجماهيرية، ليبيا،

2. عبد النور العمري، (2015). تطور الخريطة العسكرية للجيش الروماني ببلاد المغرب القديم في ظل إستراتيجية التوسع وحتمية التراجع (146ق.م-439م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 02.

3. Benseddik Nasséra, (1979), Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Mauritanie césarienne sous le haut-empire, éd. société nationale d'édition et de diffusion, Alger.
4. Carcopino Jérôme, (1943), « La fin du Maroc romain », dans Le Maroc antique, Paris.
5. Carcopino Jérôme, (1925), Le Limes de Numidie et sa garde Syrienne. In: *Syria*. Tome 6 fascicules 2, p.p., 118-149.
6. Desanges J, (1980), Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine: la Numidie traditionnelle », dans *AA*, t. 15, p.p.77-89.
7. Euzennat M., (1990), La frontière romaine d'Afrique », CRAI, p. 565-580.
8. Ferzouls E, (1981), «la résistance armée en Maurétanie Césarienne de l'annexion à l'époque Sévérienne: un essai d'appréciation » C.I., T29, p.p. 41-42.
9. Hugoniot C., (2000), Rome en Afrique, de la chute de Carthage à la conquête arabe, édition. Flammarion, paris.
10. Lassère Jean Marie, (1979), « Rome et le sous-développement de l'Afrique », dans *REA*, LXXXI, 1-2, p.p.68-104.
11. Le Bohec Yenn, (1985), la stratégie de Rome en Afrique de 238 à 284, 110é Congrès national des Sociétés Savantes, Montpellier, p.p.377-390.
12. Le Bohec Yenn, (1989), la troisième légion Auguste, Edition du CNRS, paris.
13. Leveau Philippe., (1986), « Occupation du sol, géosystèmes et systèmes sociaux : Rome et ses ennemis des montagnes et du désert dans le Maghreb antique », dans *Annales ESC*, XLI, p.p.1345-1358.
14. Martroye François, (1904), (1905) « Une tentative de révolution sociale en Afrique. Donatistes et circoncellions » dans *Revue des questions historiques*, 76, p.p.353-416, et 77, p.p.5-53.
15. Pflaum Hans- George, (1973) « La romanisation de l'Afrique », dans *Vestigia*, 17, p.p. 55-72.
16. Salama Pierre., (1951), Les voies romaines de l'Afrique du Nord, Alger.
17. Thébert Yvon, (1978), « Romanisation et déromanisation en Afrique : Histoire décolonisée ou histoire inversée ? », dans *Annales ESC*, 33, p.p. 64-82.